فضاءات الميديا الجديدة (شبكات التواصل الاجتماعي) والهوية الافتراضية للشباب- رؤية نظرية-

New media spaces (social networks) and the virtual identity of young people

أمينة بوبصلة
جامعة محمد الصديق بن يحيى-جيجل، elhachimibou18@gmail.com
ريمة زنانرة "
جامعة محمد الصديق بن يحيى-جيجل، rimazenanra@yahoo.com

تاريخ الاستلام 2023/04/27 تاريخ القبول 2023/05/31

الملخص

لقد شهد القرن الواحد والعشرين تغيرات جدرية سرعت من وتيرتها تكنولوجيات الاتصال الحديثة التي ألقت بظلالها على الحدود الثقافية للمجتمعات فتغير المنطق الذي يحكم العلاقة بين الخاص والعام مما أدى إلى فردنة العلاقات الاجتماعية وإضعاف الطابع الجماهيري للمجتمعات الحديثة، ما طرح على الساحة عدة قضايا جوهرية تأتي على رأسها قضية الهوية في ظل المجتمعات الافتراضية وهو الأمر الذي ستعالجه هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفتاحية: الميديا الجديدة، الهوية، الهوية الافتراضية، الشباب، شبكات التواصل الاجتماعي.

Abstract:

The twenty-first century has witnessed major changes that were accelerated by modern communication technologies that cast a shadow over the cultural boundaries of societies, thus changing the logic that governs the relationship between the private and the public, which led to the individualization of social relations and the weakening of the mass character of modern societies, which raised several fundamental issues on the scene, on top of which The issue of identity in the shadow of virtual societies, which will be addressed in this research paper.

Keys Words: *new media, identity, virtual identity, youth, social networks.*

* المؤلف المراسل

مقدمـة:

عرفت الألفية الثالثة مولودا جديدا غيّر من عدة مفاهيم كالدولة والجماعة التقليدية والمجتمع المحلي وذلك أن هذا المولود الجديد (الانترنيت) ألغى الحدود الجغرافية والزمانية بين لمجتمعات وجعل المجال مفتوحا أمام الجماهير للتواصل وتبادل الخبرات والمعارف بتقنيات عالية الجودة، وقد أسهمت الثورة التكنولوجية التي عرفها العالم في نشوء جيل جديد من الشباب يعي ما حوله ويسهم في النقاش والحوار عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي بشأن الموضوعات المتنوعة إذ استهوت تطبيقات الاتصال الجديدة الشباب، وقدمت لهم مضمونا متنوعا جذابا، ومنحتهم الفرصة للتعبير عن أنفسهم عن طذريق نشر التعليقات على الأحداث والمشاركة فيها، بواسطة الصور وبث الفيديوهات التي تتصل بقضايا عامة وخاصة إلى جانب ربط علاقات اجتماعية افتراضية مع أشخاص من ثقافات مختلفة ومن مناطق بعيدة ليتحقق بهذا مفهوم القرية الكونية التي أشار إليها "مارشال ماكلوهان" حيث تغلغل الاتصال الوسيطي عبر مواقع التواصل الاجتماعي في كل منحى من مناحي الحياة كبديل عن الاتصال وجها لوجه، ليتحول الأشخاص إلى أفراد افتراضيون يتفاعلون ضمن فضاء غير واقعي ما أدى إلى دفع العلاقات الاجتماعية من الواقع الفعلي إلى العالم الافتراضي بفعل تقلبات الجيل الثاني من الأنترنيت، ورغم أن مواقع التواصل الاجتماعي نجحت في تغيير حياة الأفراد وتسهيلها بتجاوزها الحدود الجغرافية والثقافية والمعرفية والعرفية والطبقية والسياسية بين المجتمعات، وحتى في المجتمع الواحد إلا أنه لا يمكن تجاهل أثر الاستخدام المتزايد لمواقع التواصل الاجتماعية تمثل فضاءات لبناء الهوية الفردية لاستعراض الذات في المجال العمومي.

فقد كانت وسائل الإعلام التقليدية (التلفزيون خاصة) تأتي بالعالم إلى الفضاء الذاتي المنغلق على نفسه، لأنها كانت نافذة العالم وهي الآن تتحول إلى نافذة يطل عبرها لناس على عوامل الآخرين الذاتية من خلال عدة آليات (كالصور الذاتية التي ينشرها المستخدمون في صفحاتهم الشخصية)، أو من خلال سرد وقائع حياتهم اليومية، إن هذه التداخل بين العالم الذاتي الخاص والعالم الخارجي يؤدي إلى إعادة تشكيل المعايير الثقافية التي تحدد الخصوصية والذاتية في المجتمع ويؤثر على الهوية المجتمعية للأفراد. وهو الموضوع الذي سيتم معالجته من خلال هذه الورقة البحثية حيث أن الانفتاح اللامحدود والمتسارع واللامشروط على الآخر من شأنه ّأن يؤثر على ملامح هوية المستخدم لهذه الأوساط التي لها من الخلفيات والسياقات ما يتعدى المحلي إلى العالمي فيما يتعلق باللغة والمصطلحات والرموز والإشارات وحدود الزمان والمكان ولهذا سيتم البحث في الخلفيات التي تدفع مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي والذين معظمهم شباب إلى تبني هوية رمزية افتراضية أثرها على الهوية الحقيقية لهم.

أولا: تحديد المفاهيم

1-مفهوم الشبكات الاجتماعية: صيغ مصطلح الشبكات الاجتماعية في العام 1954 من قبل "جون بارنز" الذي كان باحثا في العلوم الإنسانية في جامعة لندن[1]، وهو مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الأنترنت العالمية (world wicd web) تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي، يجمعهم الاهتمام أو الانتماء لبلد أو فئة معينة في نظام عالمي لنقل المعلومات.[2]

وبتعبير آخر هي مواقع أنترنت تمكن المستخدمين من المشاركة والمساهمة في إنشاء صفحات أو ملفات خاصة بهم تساعدهم على التواصل، وتقدم لهم مجموعة من الخدمات مثل: المحادثة الفورية، الرسائل الخاصة وغيرها.

وتعرف أيضا بأنها: "تركيبة اجتماعية الكترونية من أفراد أو جماعات أو مؤسسات، وتتم تسمية الجزء التكويني الأساسي (مثل الفرد الواحد) باسم العقدة، بحيث يتم إيصال هذا العقد بأنواع مختلفة من العلاقات كتشجيع فريق معيّن أو الانتماء لشركة ما أو حمل جنسيته في بلد ما في هذا العالم، وقد تصل هذه العلاقات لدرجات أكثر عمقًا كطبيعة الوضع الاجتماعي أو المعتقدات أو الطبقة التي ينتمي إليها الشخص.[3]

إنّ مواقع التواصل الاجتماعي هي منصات على الأنترنت أو الهاتف النقال تنتج التفاعل ثنائي الاتجاه عبر محتويات ينتجها المستخدمون أنفسهم أو هي وسائل التواصل عبر المنصات صممت خصيصا لتتيح للمستخدمين إيجاد إنتاج المحتويات بأنفسهم والتفاعل مع المعلومات ومصادرها.

كما تعرف مواقع التواصل الاجتماعي بأنها: "مواقع تتيح تبادل المعلومات والأفكار والثقافات والتعارف بين أناس يتشاركون في الفكر والثقافة والتوجه والميولات، إذ تتيح هذه المواقع التواصل بين المستخدمين في بيئة افتراضية وتسمح لمستخدميها بالتسجيل وخلق هوية افتراضية[4].

وعموما تصنّف مواقع التواصل الاجتماعي ضمن مواقع الجيل الثاني "الويب"، وسميت اجتماعية لأنها أتت من مفهوم بناء مجتمعات، وبهذه الطريقة يستطيع المستخدم التعرّف على الأشخاص الذين لديهم اهتمامات مشتركة في شبكة الأنترنت والتعرّف على المزيد من المواقع في المجالات التي تهمّه ومشاركة الصور، والمذكرات والملفات مع العائلة والأصدقاء وزملاء العمل.

2-الهوية الافتراضية:

قبل التعرّض لمفهوم الهوية الافتراضية لابد من الوقوف عن مفهوم الهوية لغة مشتقة من ضمير "هو" ومعناها صفات الإنسان وحقيقته وأيضا تستخدم للإشارة والخصائص التي تتميز بها الشخصية الفردية[5]

وتعرف الهوية بأنها تحديد المميزات الشخصية للفرد من خلال مقارنة حالته بالخصائص الاجتماعية العامة[6].

ويعرفها العربي ولد خليفة بأنها: "حيّز يشغله الفرد في بيئة اجتماعية، فهي الإحساس بالانتماء والتعلّق بالجماعة، وعليه فالقدرة على إثبات الهوية مرتبطة بالوضعية التي تحتلها الجماعة في المنظومة الاجتماعية ونسق العلاقات الاجتماعية[7].

2- مفهوم الهوية الافتراضية:

إنّ مفهوم الهوية الافتراضية فرضية التطورات الحاصلة في تكنولوجيا الاتصال التي استحدثت الكثير من المفاهيم والممارسات، خاصة ما نتج عنها من استحداث فضاء افتراضي، وعلاقات افتراضية وجماعات افتراضية وكذا هويات افتراضية والتي تطرح إشكالات مفاهيمية خاصة على مستوى الوجود الافتراضي للفرد.

وحسب موسوعة الويب webopedia تعرف الهوية الافتراضية بأنها: "الشخصية التي يتم إنشاؤها من طرف المستخدم الإنسان الذي يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعي والشخص الظاهري للمستخدمين، وحسب هذا التعريف فإنّ الهوية الافتراضية هي السمات والمواصفات التي يقدمها الفرد الطبيعي للآخرين عبر الأنترنت، فتكون عملية الاتصال تتم بين ثلاثة أطراف وليس طرفين وهي: الشخص العادي، الهوية الافتراضية، والأشخاص الآخرين[8] .

مفهوم الشباب:

عرف معجم العلوم الاجتماعية الشباب بأنهم الأفراد بين مرحلتي البلوغ والنضج، ويستعمله بعض العلماء ليشمل المرحلة من العاشرة حتى سنّ الحادية وعشرون، إلا أنّ الفترة التي تنتهي منها مرحلة الشباب غير محددة وقد قيّدها البعض إلى سنّ الثلاثين[9].

وهناك تعريف للشباب على أنها: "مرحلة عمرية محددة من بين مراحل العمر وحالة نفسية، مصاحبة تمرّ بالإنسان وتتميّز بالحيوية وترتبط بالقدرة على التعلم ومرونة العلاقات الإنسانية، وتحمل المسؤولية وتعتبر من أهم مراحل الحياة إذ فيها يكتسب الشباب مهاراته الإنسانية، وهي مجموعة المهارات الاجتماعية والبدنية والنفسية اللازمة له، لتدبير شؤونه وتنظيم علاقاته بالآخرين[10].

❖ **سمات وخصائص إشباعات الهوية الافتراضية ضمن فضاءات مواقع التواصل الاجتماعي:**

- الخلفيات الكامنة وراء تبنّي الشباب لهويات افتراضية.
- سمات الهوية الافتراضية والحدود الفاصلة بينها وبين الهوية الحقيقية.

- طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تتشكل عند الشباب من خلال المجتمعات الافتراضية.

ثانيا: تحديات الهوية في ظلّ فضاءات الميديا الجديدة

إن الفكر التواصلي يبحث غالبا في الصيرورات التي تشكل علاقة الفرد بالعالم، وهو ينظر إلى الثقافة من خلال المقاربات الانثربلوجية كنسق تواصلي[11]، في حين يؤكد البعض أن الاتصال هو في نفس الوقت جهاز سياسي لإنتاج جماعي وإعادة إنتاج التراتبية الثقافية، وعلى هذا الأساس فإنه من الصعب فصل الاتصال عن جملة أنظمة التنشئة الاجتماعية الأخرى التي يمثل امتدادا لها[12] ،ومن هنا فإن الخطاب التقنوي القائم على رؤية خطية وتجزيئية للإعلام والاتصال لا يملك النموذج النظري الضروري لتحليل هذه العلاقة المتداخلة أما خطاب الهوية والأيديولوجية فهو لا يجازف بمسألة هذه العلاقات المتداخلة لأنه يرهب أن يكتشف معيشا جديدا منافيا لما يعتبره القيم الحقيقية والأصلي، حيث يتيح الفضاء الاتصالي الجديد فهم بعض النماذج التواصلية وتعتبر البعض الآخر وظهور نماذج جديدة (النماذج، الأشكال التي تحكم الاتصال، عمليات إنتاج وتبادل وإشهار الأفكار والآراء والمعتقدات الفردية والاجتماعية، أنماط الوساطات التي تحكم الإنتاج والتلقي.

لقد أصبح الاتصال الالكتروني يشكل منظومة جديدة للتواصل وخلق العلاقات الاجتماعية يسميها "بيار ليفي" (ايكولوجيا ثقافية غنية ومعقدة وفي تحو مستمر) تسمح للفرد بالتجول باستمرار بين مواقع البث والتلقي، وتنصهر بداخله العوالم الفردية، فشبكة الويب فضاء جماعي يشترك المستعملون في كما يمثل الويب بهذا نموذجا تواصليا جديدا حيث لا يتعلق الأمر هنا بعملية بث مركزية كما كان قديما، ولكن يتفاعل الجميع فيها داخل حالة ما يساهم كل فرد في استكشافها بطريقة أو في تغييرها أو في الحفاظ عليها كما هي، إنها صيرورة تفاوض موضوعها المعني، تشارك فيها المجموعات من خلال التواصل أي التشاور والنقاش بين المشاركين، ما يفتح المجال أمام الأفراد لتغيير المعتقدات والأفكار الجماعية المتوارثة وتبنى أفكار وقيم جديدة قد تتعارض مع قيم المجتمع الحقيقي الذي يعيشون فيه.

لقد أعطت الشبكة العنكبوتية بعد آخر للاتصال والتواصل بين الأفراد كان أهمها قدرتها على تحطيم الحواجز الفيزيقية والقضاء على الأحكام الاجتماعية المسبقة فالاتصال من خلالها يتم عن طريق الذهن لا عن طريق الالتقاء المباشر، حيث غالبا يعتبر مستعملو الكمبيوتر جهاز الكمبيوتر امتداد لعقولهم وشخصيتهم وفي الفضاء الالكتروني أصبح نمطا من الفضاء الانتقالي يمتد فيه عالم الفرد ونفسيته... حيث النظام الرقمي يحرر الأذهان ويتيح لها أن تنعق من الجسد لتبلغ مستوى متفرقا من الإدراك[13].

ولما كانت الأنترنت من التكنولوجيا الذهنية فقد يكون لها الأثر البالغ على عقول الشباب وبما أنها وعاء ثقافي فقد تغير في قيمه وسلوكياته وأنماط تفكيره وبصفة عامة في طريقة حياته، كما أن الاتصال الافتراضي يعطي إمكانية تغير الهوية الشخصية بفعل تأثير العلاقات المفتوحة على الخط في غرف الدردشة ومجموعات النقاش وتبادل الخطابات وهو الأمر الذي أشار إليه الباحث عبد الرحمن عزي الذي يرى أن وسائل الاتصال تلعب دورا سالبا بطريقة غير مقصودة في المجتمع الغني بالعادات والتقاليد والتفاعل الاجتماعي ذلك أن وسائل الاتصال حسبه تبعد أفراد المجتمع عن بعضهم البعض ويترتب عليها تغيير علاقة الإنسان بذاته وبمحيطه وعلاقته بالمعرفة ففضاءات الميديا الجديدة تستطيع من خلال الصوت والصورة والكلمة المكتوبة التأثير مباشرة في اتجاهات الأفراد داخل المجتمع، ومن خلال نشاطها الاتصالي المتعدد المستويات يتم نقل العادات والتقاليد والقيم وقد تقوم بطريقة انسيابية بهدم قيم وخلق قيم جديدة خاصة وأن جيل الشباب يستخدمونها لأغراض متنوعة ويحققون بها اشباعات مختلفة فهم يحصلون منها على المعلومات ويقضون فيها أوقات ممتعة وينشئون علاقات وصداقات ويرتحلون إلى آفاق جديدة ويتعرفون على قيم وعادات وتقاليد جديدة، كما أنها تستطيع أن تساهم بدور كبير في تغيير الاتجاهات أو تعديلها وتوجيهها عن طريق ما تعرضه من حقائق وأخبار وأفكار وكذلك إشباع الحاجات النفسية لدى الأفراد.

ثالثا: سمات وخصائص إشباعات الهوية الافتراضية للشباب ضمن فضاءات الميديا الجديدة

شهد العالم خلال سيرورته التاريخية تحوّلات متسارعة لاسيما في مجال الاتصال والثورة التكنولوجية الكبيرة، حيث قطع الحقل الاتصالي أشواطا كبيرة في الانتقال من التواصل الشفهي والرّمزي بين الأفراد إلى التواصل الالكتروني بفضل بروز الحاسوب وتزويده بالأنترنت الذي مكّن من ربط أطراف الكرة الأرضية بعضها ببعض وجعلت من التواصل يتم بطريقة سريعة وسهلة متخطّية وجود الأفراد في إطار زمني ومكاني واحد من أجل تحقيق التفاعل، وبالتالي فقد أتاحت التكنولوجيا الحديثة في مجال الاتصال العديد من الاستخدامات وأحدثت تغيّرات على حياة الأفراد والمجتمعات خاصة خدمة الأنترنت بتطبيقاتها المختلفة من مدونات وشبكات اجتماعية. هذه الأخيرة التي أصبحت تشكّل عصب التواصل اليومي بين الأفراد، حيث نشأت العديد من التجمّعات الافتراضية عبر الشبكة أو الفضاء الالكتروني، وما هو ملاحظ من خلال هذه التجمعات نشاط الفئة الشبابية، وتفاعلها عبر شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك، وتويتر وغيرها، من خلال هويات قد تكون حقيقية للفرد بكل تفاصيلها اللاّفت للانتباه هو النشاط في هذه المواقع باستخدام هويات افتراضية يضعها الأفراد وبناءا على اعتبارات معينة لتكون لديهم هويات افتراضية للتواصل مع أصدقائهم الحقيقيين والافتراضيين، وهو لبّ الدراسة الحقيقية التي تبحث في السبب وراء تخفّي الشباب وراء هويات افتراضية كاستعمال صورة عامة لمنظر طبيعي أو بناء معيّن أو علم وطن أو استخدام صورة شخص

مشهور أو أنّ المستخدم أنثى ويدخل بهوية ذكر أو العكس، وعند البحث عن سمات وخصائص إشباعات الهوية الافتراضية نجد أن هذه السمات والخصائص كامنة في المجتمع الافتراضي نفسه وهي:

– التبادل الفوري للمعلومات، وهي خاصية غير متوفرة في مجتمع الحياة الواقعية، وهذا يتيح للشباب المساهمة الفعالة في العديد من الأنشطة من بيوتهم، مثل التسوّق ودفع الفواتير، والبحث عن معلومات محددة[14].

– مناقشة القضايا ذات الطابع الاجتماعي العام في مضامين تتوافق مع اهتمامات الأفراد.

– تنمية التواصل الاجتماعي للمنطويين والمنعزلين اجتماعيا: حيث يوجد أفراد لديهم مشكل في التواصل يتميزون بالانطوائية وجدوا ضالتهم من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، حيث يحدث داخل هذا الفضاء تفاعل اتصالي مع أشخاص غير معروفين، في الوقت الحقيقي لكن لا يوجد أناس فعليون واتصالات حقيقية كما في الواقع، فيشكل هؤلاء علاقات افتراضية يتشاركون من خلالها اهتماماتهم الفعلية، حيث قدمت مواقع التواصل الاجتماعي إمكانية التواصل والتلاحم بين مجموعة من الأفراد المتباعدين مكانيا والمختلفين زمنيا، هذا من جهة ومن جهة أخرى ومن جهة أخرى ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي في الانقطاع الجزئي عن العالم الواقعي بالتدريج بالنسبة لبعض الأشخاص.

– التمرّد على العادات والتقاليد إذ في المجتمعات الافتراضية لا قانون ولا رقابة، ويستطيع الأفراد تحقيق ميولاتهم ورغباتهم التي لا يستطيعون الوصول إليها في الواقع الحقيقي بفعل القيم والمعايير الاجتماعية التي تحكمهم.

– التفكير بحرية، والتعبير عن كل المواضيع، إذ يشكل الخيال لدى عدد كبير من الناس متعة فائقة قد تفوق تلك التي يحصلون عليها في مجتمعاتهم الواقعية أو الحقيقية، فالتفاعلات المصاحبة للخيال في الفضاء الافتراضي تعزي الناس وتجذبهم بشكل كبير وبخاصة أولئك الذين يبحثون عن التغيير[15]

– الهروب من الواقع، وغالبا ما يكون عند القلوب الجريحة جراء علاقات عاطفية فشلوا فيها على المستوى الشخصي أو الأسري أو الاجتماعي إلى جانب المصابون بالاكتئاب والمنبوذون من جماعاتهم الواقعية، العاطلون عن العمل...كل هذه النماذج تبحث عن ملاذ لمشاكلهم وضغوطاتهم في الفضاء الافتراضي منسحبة من الحياة الواقعية وضغوطها.

– متابعة الهويات وتأسيس الصداقات الجديدة وتعزيز تلك المكونة أصلا في الواقع الحقيقي، وممارسة الألعاب والتسلية والتشارك بالأفكار والحوار، فالتفاعلات في الواقع الحقيقي التي أنتجها أفراد وجماعات متكيفين اجتماعيا استطاعوا بدخولهم مواقع التواصل الاجتماعي خلق أنماط تواصلية جديدة، وبالتالي أوجدوا أنماطا جديدة للعلاقات الاجتماعية الصحية.

– يكون تفاعل الأشخاص في الواقع الافتراضي أكثر نشاطا ومشاركة وأحسن تصرفا عما هو في الواقع الحقيقي، وذلك بخصائص المجتمع الافتراضي الذي يرتكز على التواصل الفكري وليس على المظهر والانطباعات الأولى مثلما هو في المجتمع الحقيقي، كما أنه أكثر تلقائية وصراحة لانعدام تعقيدات الاتصال المباشر الاجتماعية كالقيام ببعض الترتيبات أو العادات والمراسيم أو النفسية كالشعور بالخجل أو الارتباط وغيرها[16].

– التعبير عن المشاعر والأفكار والآراء وإسداء وتلقّي النصح والإرشاد والتوجيه حول مختلف المواضيع مثل المواضيع ذات الصبغة الطبية[17].

وسائل التواصل الافتراضي:

يتم التواصل الافتراضي بين الأفراد عن طريق عدة وسائل أكثرها استخداما هي:

أ- لوحة وسائل الانترنت:

"هو منتدى يستطيع الناس من خلاله مناقشة الأفكار والآراء حول مختلف الموضوعات، كما يستطيع أي مستخدم طرح الموضوع الذي يريده ويعرضه للنقاش والحوار، ويبقى لكل مستخدم حرية الكشف عن هويته الشخصية وصورته الحقيقية أو التخفّي باسم مستعار وصورة مصطنعة"[18].

ب-غرف الدردشة:

بعد وقت قصير من ارتفاع الفائدة من لوحات الرسائل والمنتديات، بدأ الناس يتطلعون إلى وسيلة للتواصل مع المجتمعات المحلية في الوقت الحقيقي وبشكل أسرع، لذا فإنّ غرف الدردشة فتحت المجال واسعا لإجراء المحادثات مع أيّ شخص على الأنترنت وفي الوقت نفسه، يمكن العثور على غرف الدردشة في كلّ أنواع الموضوعات بحيث يستطيع الناس التحدّث مع الآخرين، الذين يتقاسمون الاهتمامات نفسها[19].

ج-العوالم الافتراضية:

العوالم الافتراضية هي الأكثر تفاعلية لجميع أشكال المجتمع الافتراضي، حيث يستطيع المستخدمين هنا أن يعيشوا تجارب لم يعيشوها في حياتهم الواقعية، فقد يختار المستخدم أن يكون

أميرا أو فارسا أو مزارعا أو حتى حيوانا في مجتمع افتراضي يصنعه هو والمشتركون، ويختار كل منهم شخصيته وأسلوبه في الحياة، إنها الحياة الثانية التي تعتبر أكثر العوالم الافتراضية شعبية على الأنترنت[20].

تمثلات الهوية الافتراضية:

تمظهرات الهوية الافتراضية للشباب وانعكاساتها على الهوية الحقيقية:

تبدو تمظهرات الهوية الافتراضية في الفضاء الافتراضي تعدّ انعكاسا مباشرا لتمثلات جزء بسيط من الذات الفاعلة في الواقع، سواء من حيث طبيعة قيمها أو تصوراتها التي تؤسّس وجودها الاجتماعي والرقمي على حدّ سواء، بحكم أن جزءا مهما من تمثلاتها في المجتمع الشبكي قد تكون مزيفة وتعبر عن تطلعات لا تمتّ بصلة إلى الواقع، لكنها في الوقت ذاته، قد تعكس بعض المضامين التي تبحث لها عن وجود في الواقع، وتعبّر الفئات الشبابية أكثر الفئات استخداما للمواقع الافتراضية، وهم الأكثر إساءة لهذا الاستخدام، وبالتالي من الممكن أن يرتبط سوء الاستخدام ببعض الآثار الاجتماعية والنفسية، فهناك أمور مغرية بالنسبية لهذه الفئة لقضاء الساعات الطويلة أمام الجهاز فقد توصلت دراسة عمارة (2005) حول استخدامات شبكة الأنترنت وعلاقته بالتفاعل الاجتماعي إلى أن معظم أفراد العينة يستخدم الأنترنت لتبادل البريد الالكتروني والدردشة أكثر من الاستخدامات الأخرى، كما أكدت الدراسة على أن الشباب هم أكثر الأفراد استخداما، وأن أكثر مستخدمي الأنترنت هم الأكثر شعورا بالعزلة الاجتماعية[21].

إنّ مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي يتمظهرون وفقا لنماذج تمثلهم أو تلامس جزءا من شخصياتهم وميولاتهم، ويمكن أن نستشف الهوية الافتراضية لمستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي من خلال ثلاث أشكال رئيسية.

المظهر الكتابي: أو النص المكتوب، وهو أكثرها استعمالا، وأهمها على الإطلاق، حيث أن نوعية الكتابة وطريقتها وطبيعة الجمل والكلمات المستخدمة والأسلوب الكتابي والرموز المستعملة كلها أمور تحدّد شخصية الفرد، وطبيعته، وتمكننا حتى من التعرف عليه وعلى سماته الشخصية إلى حدّ ما.

المظهر الثاني: يكون بالصور والرسومات، وما يصطحبها من ألوان وخطوط وأشكال متنوعة، وصور شخصية، وغيرها، وكل هذه الجزئيات المصاحبة للنص والصوت تلعب دورا كبيرا في بناء شخصية معينة ذات سمات مختلفة من حين لآخر، ومن وضعية لأخرى، ورغم كون الصور المقدمة غير واقعية في الغالب، إلا أنها تكون هوية يعرف بها المستخدمون في المجتمع الافتراضي في ظلّ غياب الحضور الجسمي أو الفيزيائي[22].

المظهر الصوتي: قد يصحب مظهر النص أو مظهر الصورة والرسومات أو يكون مستقلا وحده، بحسب حاجة الاستخدام، وتفضيلات الشخصية أو الخيارات التقنية، ونادرا ما يتمثل الأفراد بالمظهر الصوتي لأنه أمر صعب وقليل الأهمية[23].

وعموما يمكن التمييز بين ثلاث مظاهر للهوية الافتراضية كما يلي:

أ- الهوية التصريحية Identité déclarative: تبرز من خلال المعلومات التي يجري إدخالها من قبل صاحب الحساب مثل: الاسم، تاريخ الميلاد، الصورة...الخ، أي أن هذا النمط يعبّر عما يصرح به المستخدم من بيانات أولية حول ذاته.

ب- الهوية النشطة Identité Agissante: تبرز من خلال التقارير الدورية للصفحة عن نشاطات المستخدم مثل: إضافة صديق أو الانضمام إلى مجموعات معينة، وهذا النمط يكشف عن مختلف الأفعال التي يقوم بها المستخدم عبر الفايسبوك والتي تعطي بدورها انطباعا حول هويته الاجتماعية تحديدا وحول تفضيلاته ومواقفه أيضا.

ج- الهوية المحسوبة Identité Caluculé: تبرز من خلال متغيرات عددها يعدها النظام، وتعرض على الصفحة، توضح عدد الأصدقاء عدد المجموعات والتواريخ المهمة، وتسمح هذه الأبعاد الثلاثة بالتحليل الكمي لتغيّرات ملامح الهوية وسياق تواجدها في الفضاء الرقمي[24].

لقد أحدثت الثورة التكنولوجية نقلة في الحياة الاجتماعية للأفراد بما قدمته من وسائل جعلت العالم قرية صغيرة بعدما جعلت الحضور الفيزيائي والتقارب الجغرافي والتوافق الزمني والتماثل الثقافي أمور لا يشترط توفرها لإقامة العلاقات الاجتماعية الحقيقية بين الأفراد، وهو الأمر الذي يؤثر على شخصية الأفراد مستخدمي هذه المواقع والتي أقرّت عديد الدراسات أنّ أغلبهم من الشباب، حيث تسمح هذه الأخيرة لملايين الشباب من التفاعل والحوار عبرها باستخدام لغات متعددة وخطابات مصورة وأخرى مكتوبة تختص بالأحداث العالمية والمحلية، تمتزج عبرها الأفكار والرؤى والثقافات العالمية دون قيود أو شروط أو عوائق تحدّ من حرية التواصل، وتطرح مجالا للتساؤل حول الحدود الفاصلة للهوية الافتراضية عن الهوية الحقيقية.

حيث ذهب جملة من الباحثين إلى أنّ امتلاك الشباب لهوية افتراضية يؤثّر إيجابا على شخصيتهم، حيث يتشجعون على إخراج وإظهار الذات الداخلية لهم لأن نوع العلاقات القائمة فيها يعبّر عنها أساسا عن طريق الفكر، أما الجسد فلا يتدخّل في أي حال من الأحوال، فالهوية الشخصية للأفراد في المجتمع الحقيقي قد تتأثر بالعناصر المعيارية الاجتماعية، وكذا بالعناصر الفيزيولوجية، مما يؤدي إلى كبث الذات الحقيقية وتحقيق الأنا الأعلى[25].

كما تسمح مواقع التواصل الاجتماعي للفرد بأن يضع هويته محلّ استكشاف وتجريب أي بإمكانه أن يقدم نفسه كما يشاء وعلى النحو الذي يشاء، وهو السلوك الذي قد يتعذّر عليه في الواقع حتى أنّ بعض العلماء أطلقوا على العوالم الافتراضية مسمّى "ورشات الهوية Identity work"، حيث يستطيع الفرد اكتشاف إمكانياته وقدراته المختلفة[26]

وأشارت الباحثة ريحانة بلوطي في دراستها عن أنّ الهوية الافتراضية مكّنت الفرد من التواصل مع الغير دون التخلّي عن القيم والمبادئ الاجتماعية التي يملكها، وساعدت في تعزيز الأخلاق المحمودة لديه دون أن يظهر كفاعل خير، بالإضافة إلى الإبقاء على بيانات هويتهم الحقيقية محفوظة في حال التعرّض للاختراق والقرصنة[27].

خاتمــة:

يعتبر الاتصال عبر الوسائط التكنولوجية المتعددة مصدرا لتوليد وتعدد الهويات في بيئات الأنترنت المختلفة، حيث أعادت أشكال الاتصال عبر الأنترنت تشكيل الرابط الاجتماعي بابتكار طرق جديدة لذلك، مما ولد تنشئة اجتماعية مختلطة، سميت بالهوية الافتراضية فالمستخدم الذي ينشط في سياق المتحاورين اجتماعيا في شبكة الأنترنت يعمل على صنع واجهة خاصة به يدون هويته عبرها، وفي نفس الوقت ينتج هوية افتراضية متصورة وخيالية من خلال تمثل النوع، الجنسية، الدين والوظيفة وهذا يكون من خلال الجمع بين وسائط الحرف والصوت، والصورة والحركة واللون وتجاوز المكان والزمان في حركة الفضاء الافتراضي، وبذلك يمكننا القول أنن الفضاء الافتراضي يمنح الإنسان إطارا واسعا للتعبير عن ذاته ضمن أطر فرعية، فهناك الإطار الذاتي للشخصية، وهناك إطار الجماعة أو المجتمع الافتراضي الذي ينتمي إليه، والإطار الثقافي الطبيعي الذي ينطلق منه الفرد الافتراضي، إضافة إلى الجانب الأوسع الكوني الجديد الذي يمكن للفرد الافتراضي أن يتحرر من خلاله، وينطلق بكل إمكاناته وطاقاته التمثلية الرقمية

قائمة المصادر والمراجع:

أولا:الكتب

1-إبراهيم مذكور، وآخرون. (1976). *معجم الوسيط*. (ط2) تركيا: المكتبة الإسلامية للطباعة والتوزيع.

2-أحمد زهير. (2012).*الاتصال الإنساني*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

3-حلمي خضر ساري. (2005). *ثقافة الأنترنت: دراسة في التواصل الاجتماعي*. (ط1) الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

4- شريف فهمي بدوي. (2017). *معجم مصطلحات الكمبيوتر والأنترنت المعلوماتية*. القاهرة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع.

5- عبد الغني عايد. (2017). *جدليات الوعي والتفكيك وإعادة البناء*. (ط1) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

6- علي خليل شقرة. (2014). *الإعلام الجديد شبكات التواصل الاجتماعي* . (ط1) عمان-الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.

7- ليلى أحمد جرار. (2012). *الفيسبوك والشباب العربي*. (ط1) الأردن: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

8- ماهر عودة الشمايلة، و آخرون. (2014). *تكنولوجيا الإعلام والاتصال*. عمان: دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع.

9- هالة دغمان. (دس). *مواقع شبكات التواصل الاجتماعي والقيم: العلاقة بين الواقعي والافتراضي*.

10- نديم منصوري. (2014). *سوسيولوجيا الأنترنت*. بيروت: منتدى المعارف.

11- محمد علي رحومة. (2008). *علم الاجتماع الآلي*. (ط1) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

12- محمد محمود المهدلي. (2002). *ممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية في رعاية الشباب*. المكتب الجامعي الحديث.

13- محمد العربي ولد خليفة. (2007). *المسألة الثقافيةوقضايا اللسان والهوية -دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية* . الجزائر: منشورات تالة.

ثالثا: الأطروحات رسائل الماجستير

14- إبراهيم بعزيز. (2007-2008). *منتديات المحادثة والدردشة الالكترونية، دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال*. الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام.

15- ريحانة بلوطي. (2014-2015). *دوافع استخدام الهوية الافتراضية في الشبكات الاجتماعية وأثرها على الفرد، مذكرة ماجستير في الإعلام والاتصال*. الجزائر.

16- عبد القادر بودربالة. (2016-2017). *مواقع لاتواصل الاجتماعي وأثرها على الشباب الجزائري، دراسة عينة من مستخدمي موقع الفايسبوك بولاية البليدة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه*. الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر3.

17- عبد اللّه ممدوح مبارك الرعود. (2011-2012). *دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحفيين الأرديين، رسالة ماجستير*. كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط.

18- حسيبة قيدوم. (2001-2002). *الأنترنت واستعمالاتها في الجزائر، رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال*. الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام.

19- نومار. (2014). *استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره على العلاقات الاجتماعية، مذكرة ماجستير غير منشورة*. باتنة-الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر.

رابعا: المقالات والمجلات

20- الطاهر لبيب. (2001). الثقافة والمجتمع، تفكك اللغة وتعليق الدلالة الفكر العربي المعاصر. (118-119)، 22.

21- سلطان مسفر بن مبارك الصاعدي. (2012). *الشبكات الاجتماعية خطر أم فرصة، شبكة الألوكة www.aluka.net* . السعودية.

22- مسعودة بايوسف. (04 03، 2013). الهوية الافتراضية، الخصائص والأبعاد. *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية* ، 470.

الهوامش

[1]– عبد الله ممدوح مبارك الرعود. (2011–2012). دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحفيين الأرديين، رسالة ماجستير. كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط.

[2] – سلطان مسفر بن مبارك الصاعدي. (2012). الشبكات الاجتماعية خطر أم فرصة، شبكة الألوكة www.aluka.net . السعودية، ص 9.

[3]– ماهر عودة الشمايلة، و آخرون. (2014). تكنولوجيا الإعلام والاتصال. عمان: دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، ص 83

[4]– نومار. (2014). استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره على العلاقات الاجتماعية، مذكرة ماجستير غير منشورة. باتنة– الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر.

[5]– إبراهيم مذكور، وآخرون. (1976). معجم الوسيط. (ط2) تركيا: المكتبة الإسلامية للطباعة والتوزيع.

[6]– شريف فهمي بدوي. (2017). معجم مصطلحات الكمبيوتر والأنترنت المعلوماتية. القاهرة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع.

[7]– محمد العربي ولد خليفة. (2007). المسألة الثقافيةوقضايا اللسان والهوية –دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية . الجزائر: منشورات تالة، ص9.

[8]– مسعودة بايوسف. (04 03، 2013). الهوية الافتراضية، الخصائص والأبعاد. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 470.

[9]– ليلى أحمد جرار. (2012). الفيسبوك والشباب العربي. (ط1) الأردن: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ص87

[10]– محمد محمود المهدلي. (2002). ممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية في رعاية الشباب. المكتب الجامعي الحديث، ص 272-273.

[11] – Pierre Lévy : la place de la médiologie dan le trivium, les cahiers de médiologie, n°6, 2 semestre (1998).

[12]– الصادق الحمامي: المجال الإعلامي العربي: ارهاصات نموذج تواصلي جديد، مجلة المستقبل العربي، العدد 335، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، جانفي 2007، ص48.

[13] – Herbert.I.Schiller, des prêtes tranchées de l'ère numérique le monde diplomatique,1996, p6.

[14]– هالة دغمان. (دس). مواقع شبكات التواصل الاجتماعي والقيم: العلاقة بين الواقعي والافتراضي، ص207.

[15]– حلمي خضر ساري. (2005). ثقافة الأنترنت: دراسة في التواصل الاجتماعي. (ط1) الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ص135-136.

[16] – مسعودة بايوسف، مرجع سابق، ص486.

[17]– علي خليل شقرة. (2014). الإعلام الجديد شبكات التواصل الاجتماعي . (ط1) عمان–الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، ص 60-61.

[18]– نديم منصوري. (2014). سوسيولوجيا الأنترنت. بيروت: منتدى المعارف، ص28.

[19]– نديم منصوري، مرجع سابق، ص 29.

[20]– نديم منصوري، مرجع سابق، ص 29-30.

[21]– أحمد زهير. (2012). الاتصال الإنساني. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص198.

[22]– إبراهيم بعزيز. (2007-2008). منتديات المحادثة والدردشة الالكترونية، دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال. الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، ص 82.

[23]– إبراهيم بعزيز، مرجع سابق، ص83.

[24]– عبد القادر بودربالة. (2016-2017). مواقع لاتواصل الاجتماعي وأثرها على الشباب الجزائري، دراسة عينة من مستخدمي موقع الفايسبوك بولاية البليدة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه. الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر3، ص153.

[25]– حسيبة قيدوم. (2001–2002). الأنترنت واستعمالاتها في الجزائر، رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال. الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، ص72.

[26]– حسيبة قيدوم، مرجع سابق، ص73.

[27]– ريحانة بلوطي. (2014–2015). دوافع استخدام الهوية الافتراضية في الشبكات الاجتماعية وأثرها على الفرد، مذكرة ماجستير في الإعلام والاتصال. الجزائر، ص195.